

تجنب النماذج الانهزامية
(التي تأتي بعكس المراد)

بعض النماذج المتعلقة بالأطفال كثيراً ما تكون انهزامية ، وليست فقط فاشلة في إحراز أهدافنا بعيدة المدى ، بل غالباً ما تخلق مشاكل في البيت ومصائب هنا وهناك . وتتضمن النماذج الانهزامية التهديدات ، والرشوة ، والوعود ، والسخرية ، والمواظ الفجة عن الكذب والسرقة ، وتعليم الأدب بشكل فظ بذيء .

التهديدات :

دعوة لسوء السلوك :

التهديدات بالنسبة للأطفال هي دعوة لتكرار فعل ممنوع . عندما نقول للطفل :

- افعِلْ هذا مرة أخرى .. وسوف ترى .

إنه لا يسمع «سوف ترى» ، ويسمع فقط :

- افعِلْ هذا مرة أخرى .

وأحياناً يفسرها :

- ماما تتوقع أن أفعِلْ هذا مرة أخرى ، وإلا فسيخيب ظنها .

قد تبدو مثل هذه التحذيرات ، للكبار ، أمراً معقولاً ، وهي في واقع الأمر سيئة أكثر منها مفيدة . وليكونوا على يقين من أن الفعل المذموم سيتكرر . فالتحذير ماهر إلاّ تحذير لا استقلال الطفل الذاتى . وإذا كان لديه أى احترام ذاتى فلا بد أن يخالف التحذير مرة أخرى ؛ ليظهر لنفسه وللآخرين أنه ليس جباناً .

شوقى (خمس سنوات) ، ظل يرمى بالكرة على النافذة رغم كل التحذيرات . فقالت أمه أخيراً :

- إذا رميت الكرة على النافذة مرة أخرى ، فسوف أضربك ضرباً مبرحاً ، هذا وعيد .

ولم تمض دقيقة واحدة إلا ومشهد تحطيم زجاج النافذة يقول إن تحذيرها كان له تأثيره : فالكرة قد خبطت الزجاج للمرة الأخيرة . ويمكن تصوّر المنظر الذي أعقب التهديدات والوعود وسوء التصرف بسهولة .

وعلى النقيض نرى الحادث التالى يصور التناول المثمر لسوء السلوك بدون اللجوء إلى التهديدات :

وائل (سبع سنوات) يصوب بندقيته على أخيه الرضيع . فقالت له أمه :

- ليس على الرضيع . صوّب على لوحة تعلم الرمى . فيصوب وائل على الرضيع ثانية . فتأخذ الأم البندقية وتبعدها ، وتقول لوائل :

- ليس الناس هدفاً للتصويب عليهم .

لقد فعلت الأم ما يجب عمله لحماية الرضيع ، وفي نفس الوقت دعت معايير السلوك المقبولة . وتعلّم وائل عواقب أفعاله بدون أى إضرار لذاتيته . وكانت البدائل المعروضة واضحة : إما التصويب على لوحة تعلم الرمى أو فقدان ميزة تملك البندقية .

وتجنبنا الأم ، في هذه الحادثة ، المخاطر العادية ، ولم تنزلق إلى مسالك الفشل :

- اسكت يا وائل : ألا تعرف مكاناً أفضل بدلاً من التصويب على أخيك ؟
أليس لديك عقل ؟ إذا فعلت ذلك مرة ثانية ، سامع مرة ثانية ، فلن ترى البندقية ثانية !

وإذا لم يكن الطفل خنوعاً ، فستكون استجابته لمثل هذا التحذير عبارة عن تكرار الممنوع . ولا حاجة إلى وصف المشهد الذى قد يحدث بعد ذلك . . إذ يمكن لأى أم إعادة تنظيمه من جديد .

الرشاوى :

مغالطة «إذا ... فسوف» :

والانتهزمية المشابهة هى الطريقة التى تقول بوضوح للطفل إنه إذا فعل (أو لم يفعل) أمراً ما ، فسوف يحصل على مكافأة :

- إذا كنت ظريفاً مع أخيك الرضيع ، فسوف آخذك للسینما .

- إذا توقفت عن تبلیل فراشك ، فسوف أشتري لك دراجة فى عيد ميلادك .

- إذا حفظت جدول الضرب ، فسوف آخذك لشاطئ البحر .

إن طريقة «إذا - فسوف» هذه قد تحض الطفل أحياناً على هدف فوری . لكن من النادر أن تحثه نحو جهود استمرارية . إن فحوى كلمتا تأ تحمل له أننا نشك فى قدرته للتغيير للأفضل .

«إذا حفظت جدول الضرب» تعنى «أننا لسنا متأكدين أنك تقدر» .

«إذا توقفت عن تبلیل فراشك» تعنى «أننا لا نعتقد أنك تستطيع» .

وهناك أيضاً بعض الاعتراضات الأخلاقية على المكافآت التى تستخدم كرشوة . فتروى لنا «دوروثى باروتش» فى كتابها القيم «طرق جديدة للانضباط» عن ولد يقول :

- إنى أحصل على ما أريد بالإيحاء لأمى أننى سأكون سيئاً . طبعاً ، لابد أن أكون سيئاً معظم الوقت لأقنعهما أنها لا تدفع بدون مقابل .

مثل هذا التفكير قد يؤدى إلى المساومة والابتزاز ، وإلى مزيد من المطالب للجوائز والمنافع الإضافية مقابل السلوك «الحسن» . ولقد تكيف بعض الآباء من قبل أطفالهم ، فلا يتجرون على العودة إلى البيت يوم الذهاب إلى السوق بدون هدية . ويستقبلهم أطفالهم لا بتحية ترحيب ، أو «حمداً لله على السلامة» ولكن بجملة «ماذا أحضرت لى؟» .

إن المكافآت تصبح مفيدة ، وأكثر استمتاعاً عندما لا يعلن عنها مسبقاً ، عندما تأتي كمفاجأة ، وعندما تعبر عن التقدير والإعجاب .

الوعود توقعات وممارسات غير واقعية :

يجب ألا تُعقد وعود ولا أن تُطلب من الأطفال . لماذا هذا الحظر على الوعود ؟ إن علاقاتنا مع أطفالنا يجب أن تبنى على الثقة . عندما يصبح من الواجب على الأب أن يعد ليؤكد أنه يقصد ما يقوله ، فهو بذلك يعترف أن كلامه «غير الموعود به» غير جدير بالثقة . وتبنى الوعود توقعات غير واقعية . فعندما نعد طفلاً بزيارة لحديقة الحيوان ، فهو يعتبر ذلك تعهداً بأن السماء لن تمطر ، وأن السيارة لن تتعطل ، وأنه لن يمرض ، وحيث إن الحياة لا تخلو من النوائب والحوادث العارضة ، فيشعر الأطفال بأننا غررنا بهم ، ويقتنعون بأن آباءهم ليسوا محل ثقة . والشكوى التي لا تفتقر : «ولكنك وعدت !» تصبح مألوفة بشكل موجه بالنسبة للآباء الذين يتمنون بعد فوات الأوان لو أنهم لم يعدوا ، كما يجب ألا نطلب أو ننتزع وعوداً من الأطفال خاصة بحسن التصرف مستقبلاً أو الكف عن سوء سلوك سابق . وعندما يبرم الطفل وعداً ليس نابعاً منه ، فهو يسحب شيكاً على بنك ليس لديه فيه حساب . ويجب ألا نشجع مثل هذه الممارسات الاحتيالية .

السخرية :

مانع هام للتعليم :

إن الآباء الذين لديهم موهبة السخرية يشكلون خطراً بالغاً على الصحة العقلية . وعظيم البراعة ، في التعامل مع الألفاظ منهم ، يبنى عائقه الشخصي أمام التفاهم المتبادل :

- كم مرة يجب أن أكرر نفس الشيء ؟ هل أنت أصم ؟ لماذا لا نسمع الكلام ؟

- إنك وقع جداً . هل نشأت في الأحرار ؟

- ماهى حكايتك ؟ هل أنت مجنون أو مجرد غبى ؟ إنى أعرف أين سيكون مصيرك !

قد لا يعنى مثل هذا الأب أن تعليقاته عبارة عن هجوم يدعو إلى هجوم مضاد ، وأن تعبيراته تعوق التفاهم ؛ لأنها تحرك الأطفال فى الاستغراق والانشغال بخيالات الانتقام .

ليس هناك مكان فى تربية الطفل للسخرية المريرة والصيغ المبتذلة «الكليشيهات» الجارحة . ومن الأفضل تجنب أقوال مثل :

- إن لك رأساً متورماً كالبلونة !

- لقد كبرت على ملابسك هذه !

- من تظن نفسك على أية حال !

فيجب علينا ، بأى شكل ألا نخط من وضع الطفل ومنزلته سواء أمام نفسه أو أمام زملائه .

سياسة مواجهة الكذب :

وينزعج الآباء عندما يكذب الأطفال ، خصوصاً عندما تكون الكذبة واضحة والكاذب أخرج . إنه شئ يغيظ أن تسمع الطفل يصر على أنه لم يلمس الدهان أو الشيكولاته ، والدليل ظاهر عياناً بياناً فوق قميصه ووجهه كله .

لماذا يكذب الطفل ؟

أحياناً الأطفال يكذبون لأننا لم نسمح لهم بقول الحقيقة . عندما يقول طفل لأمه إنه يكره أخاه ، فقد تضربه لقوله الحقيقة . وإذا لف ودار وسائر الأمور معلناً الكذبة الواضحة بأنه حالياً يحب أخاه ، فقد تكافئه أمه بحضن أو قبلة . ماذا يستتج الطفل من مثل هذه التجربة ؟ قد يستتج أن الحقيقة تؤذى ، وأن عدم الأمانة يفيد والأم تكافئه . إذن فهي تحب الكذبات الصغيرة .

إذا أردنا أن نُعلِّم الأمانة ، يجب أن نعدّ أنفسنا على أن نتقبَّل الحقائق المرّة كما نتقبَّل الحقائق السارة . وإذا كنّا نربّي الطفل على الأمانة ، فيجب ألا نشجعه على الكذب بخصوص أحاسيسه ، سواء كانت إيجابية ، أو سلبية ، أو متأرجحة . إنه من ردود أفعالنا لمشاعر الطفل التي نعبر عنها ، يتعلم الطفل إذا كانت الأمانة أفضل الخصال أم لا .

أكاذيب تنبئ بالحقائق :

عندما نعاقب الأطفال بسبب الحقيقة ، فهم يكذبون دفاعاً عن النفس . وهم يكذبون أيضاً ليعطوا لأنفسهم في الخيال ما ينقصهم في الحقيقة . فالأكاذيب تقول حقائق عن المخاوف والآمال . فهي تفسى ما يجب على الطفل أن يكونه أو أن يفعله . والأذن المميزة ، تفسى أكاذيب ما تقصد أن تخفيه . ورد الفعل الناضج لأي كذبة يجب أن يعكس تفهماً لمعناها ، بدلاً من الحكم على مضمونها بالرفض أو شجب مؤلفها وإدانته . والمعلومات المكتسبة من الكذب يمكن استخدامها في مساعدة الطفل في التمييز بين الواقع والتفكير المبني على الرغبة والأمانى .

عندما نخبرنا طفل صغير أنه جاءه فيل حى كهدية في عيد ميلاده ، فمن الأفيد أن نقول له :

- أنت **تود** ذلك .

بدلاً من أن نتهمه وندينه بالكذب .

- أنت **تود** لو كان لديك فيل !

- أنت **تود** أن يكون لديك حديقة حيوانات خاصة بك !

- أنت **تود** لو كان عندك غابة مليئة بالحيوانات !

- وماذا جاء لك في عيد ميلادك ؟

كذبات نتيجة الاستفزاز :

لا داعى أن يسأل الآباء أسئلة يحتمل أن تتسبب في كذب دفاعى . فالأطفال

يستاءون من استجواب الآباء لهم ، خصوصاً عندما يشكّون أن الإجابات معروفة من قبل . إنهم يكرهون الأسئلة التي هي فخاخ ، أسئلة تجبرهم أن يختاروا بين كذبة سمجة أو اعتراف مربك .

ثروت (سبع سنوات) ، كسر بندقيته الجديدة التي اشتراها له والده . فأصيب بالخوف ، وأخفى القطع المكسورة في المطبخ ، وعندما عثر الأب على بقايا البندقية ، أطلق عدة أسئلة أدت إلى انفجار :

الأب : أين بندقيتك الجديدة ؟

ثروت : إنها في مكان ما .

الأب : إنني لا أراك تلعب بها .

ثروت : أنا لا أعرف أين هي .

الأب : ابحث عنها . أريد أن أراها .

ثروت : ربما سرقها أحد .

الأب : يا كذاب يا ملعون ! لقد كسرت البندقية ! لا تفكر أنك تستطيع أن تخدعني . أكره شيء عندي هو الكذب يا كذاب !
ويقوم الأب بضربه «علقة» سيتذكرها طويلاً .

إن هذه المعركة ليست ضرورية . وبدلاً من المداينة ولعب دور البوليس السري ودور النائب العام ، سيكون الأب أكثر نفعاً لو قال لابنه :

- أرى أن بندقتيك الجديدة قد كسرت .

- إنها لم تدم طويلاً .

- خسارة ، لأن ثمنها غالٍ .

فبهذا قد يتعلم الطفل بعض الدروس القيمة :

- إن أبى متفهم . وأستطيع أن أخبره بمشاكلى . لابد أن أعتنى بهداياه أكثر من ذلك .

التعامل بالخداع :

إن سياستنا تجاه الكذب واضحة : فمن ناحية يجب ألا نلعب دور المخبر السرى أو نطلب اعترافات أو نقيم قضية من قصة طويلة . ومن ناحية أخرى ، يجب ألا نتردد فى تسمية الأشياء بأسماؤها بدون موارد أو مرارة . فعندما نكتشف أن الكتاب الذى استعاره الطفل من مكتبة المدرسة قد فات موعد إعادته ، فيجب ألا نسأل :

- هل أعدت الكتاب إلى المكتبة ؟ هل أنت متأكد ؟ كيف هذا والكتاب لا يزال على مكتبك ؟

وبدلاً من ذلك ، نقول :

- أرى أن الكتاب الذى استعترته قد فات موعد إعادته .

وعندما تحطرن المدرسة أن طفلنا قد رسب فى اختبار الحساب ، فيجب ألا نسأله :

- هل نجحت فى امتحان الحساب ؟ هل أنت متأكد ؟ إن الكذب لن يساعدك هذه المرة ! لقد تكلمنا مع مدرّسك ، ونعرف أنك رسبت بشناعة .

وبدلاً من ذلك ، نقول لطفلنا مباشرة :

مدرس الحساب قال لنا : إنك رسبت فى الاختبار . وقلقنا عليك ، ونتساءل كيف نستطيع أن نساعدك .

باختصار ، نحن لا نستفز الطفل ونجبره على الكذب الدفاعى ، ولا نتيح له الفرص للجوء إلى الكذب . وعندما يكذب الطفل بالفعل ، فيجب ألا يكون رد فعلنا هستيريا ومتمزماً ، بل واقعياً وحقيقياً . فنحن نريد من طفلنا أن يتعلم بأنه لا داعى أن يكذب علينا .

السرقه :

ليس من النادر بالنسبة للأطفال الصغار أن يحضروا للبيت بأشياء لا تخصهم .
وعندما نكتشف «السرقه» ، فمن المهم تجنب المواقف المسرحية . ويمكن
إرشاد الطفل الصغير إلى بر الأمان بعزّة وكرامة . فنقول له بهدوء وبحزم :

- هذه اللعبة تخص شخصاً آخر ، أرجعها إليه .

- إن هذا المسدس ليس ملكك ، أعدده لصاحبه .

وعندما «يسرق» الطفل الحلوى ويضعها في جيبه ، فمن الأفضل مواجهته بشكل
غير عاطفي :

- المصاصة التي في جيبك الأيسر لابد أن تظل في السوبر ماركت .

وإذا أنكر الطفل الحلوى ، نشير إليها ونكرر القول :

- المصاصة التي في جيبك ملك السوبر ماركت . ضعها على الرف .

وإذا رفض ، نأخذها من جيبه قائلين :

- إنها تخص المحل . لابد أن تبقى هنا .

السؤال الخطأ والقول الصحيح:

عندما تتأكد أن طفلك قد سرق نقوداً من محفظتك ، فمن الأفضل ألا تسأله ، بل
تقول له عن ذلك :

- لقد أخذت النقود ، أرجعها .

وإذا كان قد أنفق النقود ، فيجب أن نركز المناقشة على طرق التعويض بواسطة
أعمال أو واجبات يقوم بها أو الخصم من المصروف .

ومن المهم تجنب تسمية الطفل بلص وكاذب أو التنبؤ بأنه سيتهي به المطاف في
سجن أبى زعبل . وليس من المفيد سؤال الطفل :

ـ لماذا فعلت ذلك ؟

وهو نفسه ، قد لا يعرف الدافع ، والضغط عليه لإعطاء السبب لا ينتج عنه إلا كذبة أخرى .

ومن الأكثر نفعاً أن تشير إلى أنك تتوقع منه أن يناقش معك احتياجه إلى المال :

ـ لقد خاب ظني أنك لم تخبرني أنك في حاجة إلى جنيته !

ـ عندما تحتاج إلى نقود ، تعال وبلّغني . وسنحلها معاً .

إذا أكل طفلك كعكاً من العلبه المحظورة ، وهناك شارب من السكر مرسوم على وجهه ، فلا تسأليه أسئلة مثل :

ـ هل يوجد أحد أخذ كعكاً من العلبه ؟

ـ هل رأيت أحداً يأخذ منها ؟ هل أكلت واحدة ؟ هل أنت متأكد ؟

مثل هذه الأسئلة عادة ما تدفع الطفل إلى اختراع الكذب . القاعدة هي أننا عندما نعرف الإجابة ، فلا نسأل السؤال . ومن الأفضل القول صراحة :

ـ يا بني ، إنك أكلت الكعك ، ولقد طلبت منك ألا تفعل . إني غاضبه لخيبه ظني فيك .

إن هذا القول فيه العقاب الكافي والمرغوب فيه . وسيجعل الطفل يشعر بالانزعاج والمسئولية ليفعل شيئاً إزاء سوء تصرفه .

تعليم الأدب : بوقاحة أم بأدب ؟

النماذج الخاصة والسلوك العام :

الأدب عبارة عن سمة شخصية ومهارة اجتماعية في الوقت نفسه ؛ يكتسب من خلال محاكاة الآباء الذين هم أنفسهم يتحلون بالأدب . ويجب تحت كل الظروف أن يتم تعليم الأدب بالأدب . ومع ذلك ، فكثيراً ما يقوم الآباء بتعليمه بطريقة فظة .

فعندما ينسى الطفل أن يقول «شكراً» ، يلفت الآباء انتباهه لذلك أمام الآخرين ، وهذا وضع فيه إحراج . كما يسرع الآباء بتذكير طفلهم أن يقول «مع السلامة» لضيوفهم حتى قبل أن يقوموا هم بتوديعهم .

تناول طفل في السادسة من عمره هدية ملفوفة ، وبدافع الفضول قام بالضغط على الصندوق ؛ ليكشف عما بداخله :

الأم :

- محمد ، لاتفعل هذا ! إنك تتلف الهدية ! ماذا تقول عندما يعطيك أحد ما هدية؟

قال محمد بغضب :

- شكراً !

الأم :

- هكذا يكون الولد الطيب .

كان من الممكن للأم أن تعلم هذا الدرس في الأدب بطريقة أقل فظاظه وبشكل أكثر تأثيراً . كان يمكنها أن تقول :

- شكراً يا خالة نعمات ، على هذه الهدية الجميلة .

ومن المتصور أن محمداً سيتبعها بشكره هو الشخصى . وإذا أخفق في القيام بذلك ، تستطيع الأم التعرض للآداب الاجتماعية فيما بعد عندما تختلئ به . ويمكنها أن تقول :

- من ظُرف خالتك نعمات أن تفكر فيك وتقدم لك هدية .

دعنا نكتب لها ونشكرها . إنها ستفرح جداً أننا فكرنا فيها وكتبنا لها .

تعد هذه الطريقة أكثر كفاءة من التأنيب المباشر ، رغم أنها أكثر التواء . إن دقائق فن الحياة لا يمكن تعليمها بالمطرفة .

وعندما يقاطع الأطفال حديث الكبار ، عادة ما يكون رد فعل الكبار أن يقولوا في غضب :

- لاتكن صفيقاً ! إنها قلة أدب أن تقاطع أحداً !

ومع ذلك ، فإن مقاطعة المقاطع قلة أدب أيضاً . ويجب على الآباء ألا يكونوا سيئى الأدب فى عملية تعليم الطفل الأدب . ربما من الأفضل قول :
- أود أن أنهى رواية قصتى . بعد ذلك تأخذ دورك .

ولايمكن أن نخدم أى هدف بقولنا للطفل إنه صفيق ، بل على عكس ما نأمل ، سينحيه هذا بعيداً عن الأدب . والخطورة تكمن فى أنه سيقبل تقويمنا ، ويجعل ذلك جزءاً من صورته الذاتية ، وإذا اعتقد فى نفسه أنه ولد صفيق ، فسيستمر وهذه الصورة فى مخيلته . ويصبح من الطبيعى على الولد الصفيق أن يسلك بصفاقة .

إن الزيارات لبيوت الأصدقاء أو الأقارب تتيح لنا فرصاً لإيضاح وبيان الأدب للأطفال . يجب أن تكون الزيارة سعادة للوالدين وللطفل . ويمكن تحقيق ذلك عندما يترك حمل مسئولية سلوك الطفل للطفل والمضيف . (وسوف تقتصر مساعدتنا على التعبير عن تفهمنا لرغبات الطفل ومشاعره) .

ويعلم الأطفال أننا نعاف تأنيبهم فى بيوت الآخرين وثقتهم فى ذلك ، نجعلهم يختارون هذه الأماكن للتمرد أو السلوك بطريقة شاذة . وأفضل طريقة لإبطال هذه الاستراتيجية هى إلزام المضيف بإقرار قواعد منزله ، ويؤكد عليها ويضعها موضع التنفيذ . فعندما يقفز الطفل على الكنبه التى فى منزل الخالة لىلى ، دعى الخالة لىلى تقرر إذا كانت الكنبه للقفز أم لا ، ودعيها تضع الحدود . وغالباً ما يطيع الطفل عندما تصدر التعليمات من الغرباء . وتستطيع الأم التى تحررت من واجب الانضباط ، أن تساعد الطفل بإعادة ذكر الحدود بينها وبينه ، قائلة :

- هذه هى القواعد والنظم هنا ، عند الخالة لىلى .

ويمكن تطبيق هذه السياسة عندما يكون هناك اتفاق مسبق بين المضيفة والضيفة

إزاء مناطق مسؤولياتهما الخاصة . ومن حق المضيفة ومن مسئوليتها أن تطلب الإذعان لقواعد بيتها . ومن مسئولية الأم الزائرة أن تتخلى مؤقتاً عن دورها في الضبط والربط . وبسياسة عدم التدخل الملائمة ، تساعد الأم الطفل في إدراك واستيعاب حقيقة الموقف .

